مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية

المجلد الثالث العدد الثاني

ديسمبر 2025

(دوريّة علميّة محكّمة نصف سنويّة)

ISSN 3006-7547 (Print)
ISSN 3006-7553 (Online)

الجمهورية اليمنية - شبوة - جامعة شبوة

SHU Journal for Humanities and Applied Sciences
Volume 3, Issue 2, December 2025
https://shu.edu.ye

مجلة جامعة شبوة للعلوم الإنسانية والتطبيقية
المجلد الثالث، العدد الثاني، ديسمبر 2025م

الجَسَدُ واستراتيجية السَّلْب؛ عِجْل السَّامري أنموذجًا: مقاربة معجمية وظيفية

عبد الرحمان هلالي
باحث دكتوراه
كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، المغرب

الملخص

يَصْدُر هذا البحثُ عن نَسَقِ الإغواء لدى الشيطان، بوصفه – الشيطان – كينونةً مستقلة متعالية، تنتظم داخل نسق خاص ومُعقَّد، يتداخل فيه مجموع الأفعال "الشيطانية"، وهذه الكينونة يمكن أن تُحَقِّق وجودَها الفعليَّ في الجن أو الإنس. مثلما حققت وجودًا لها في "إبليسَ"/ الجنّ، أو"السامريّ"/ الإنسِ. وإذ يمكن الإنسان أن يمارس الإغواء على بني جِلْدَته، فإن البحث سيتَقصَّى مقولة "الجسد" في سياق إغواء السامري لبني إسرائيل عن طريق "العِجْلِ الجَسَدِ"، الذي استطاع بواسطته أن يُسَخِّر استراتيجية "السَّلْب"؛ بوصف هذا الأخير سَحْبًا مِنْ سَلْكِ سَبِيل الهُدَى والرُّشد أو صَدًّا عنه، بطرائق استهوائية، تقوم في مجملها على تقبيح كل أعمال الخير والصلاح.

سيستثمر البحث مقولتي "الذاكرة" و"النسيان"، بوصفهما مقولتين أكثر ارتباطًا بتوجيه السلوك البشري، وسيحاول كشف الصِّلات الممكنة بين هاتين المقولتين ومقولة "الجَسَد"، في ضوء بعض العلامات التي تظهر في سياق سورة الأعراف وغيرها من السور، التي أتت على ذكر عجل بني إسرائيل، وفي بعض الآيات المتفرقة في القرآن الكريم، التي أشارت بشكل ضمني إلى فكرة التجسيد.

يعتمد البحث مقاربة وظيفية ذات مدخل معجمي؛ إذ ينقب في المعاني المعجمية لمقولتي العجل والجسد، كاشفًا عن الدلالات المترتبة عنها، وآثارها الوظيفية، اهتداءً بالفروق الدقيقة التي يتيحها الخطاب القرآني، ومحاولًا إبراز الصِّلات الممكنة بين مقولة "الجسد"، ومقولتي "الذَّاكِرة" و"النِّسْيان". ومنه فالإشكال الذي يهم البحث للإجابة عنه هو: كيف استثمر السامري استراتيجية السَّلْب لإغواء بني إسرائيل عبر "العجلِ الجسدِ"؟

يَخلُص البحث إلى أن الجسد مادة إغوائية، مَدخَلُها الإدراك البصري، تستهدف احتلال الذاكرة – ما دامت صورةُ الجَسَدِ عَصِيَّةً على النِّسْيان – في أفق تَهْيِئَةِ الفضاء الذهني للمستهدَف بالإغواء من خلال ترميز الجسد بمنحه دلالات رمزية عبر التَّسْمِية، ثم الاستحواذ على قلب المستهدَف حتى يصير الجَسَدُ الاسْمُ عَقِيدةً تَمتَدُّ إلى الجوارح مُتجلِّيةً في السلوك.

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2025/06/14
تاريخ القبول: 2025/06/29
تاريخ النشر: 2026/01/03

الكلمات المفتاحية

الجَسَد، استراتيجية السَّلْب، الشَّيْطان، الذَّاكِرة، النِّسْيان

©2025 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL

توطئة:

تقوم قصة بني إسرائيل على حاجةٍ هَوَوِيَّةٍ[1]، مفادُها الإيمان بالمرئيّ/ العاجِلِ/ المجسَّدِ، وهو إيمان بالمحسوس الخالص، الشَّاخِصِ قُبالَةً الآنَ[2]. تظهر هذه الحاجة الهَوَوِيَّة منذ اللحظة التي مَرَّ فيها بنو إسرائيل بقومٍ يعبدون أصنامًا؛ ليطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا شبيهًا بآلهة هؤلاء القوم، وذلك ما تبينه الآية الكريمة: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾[3]، يأتي هذا الطلبُ بعد أن شَهِدَ بنو إسرائيل جملةً من المعجزات على يد موسى عليه السلام، آخِرُها معجزةُ شَقِّ البحر، وكلها معجزات شاهدة على قوة إلهٍ غيرِ مَرْئيّ، لكنَّ الحاجةَ الهَوَوِيَّة لدى بني إسرائيل كانت تُملي عليهم أسئلة من قبيل: كيف نعبدُ إلهًا لا يُرى؟ من هو هذا الإله الذي يقوم بهذه المعجزات ثم لا نَراهُ ولا يَظهَرُ قُبالَتَنا فتُدرِكه أبصارُنا؟، ولذلك طلبوا من موسى أن يُرِيَهم اللهَ جهرةً، فأخَذَتْهم الصاعقةُ عقابًا لهم على سَفَهِهِم وتجرُّئِهم على الله، يقول تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ ﴾[4].

هذان المشهدان – مشهدُ طلب بني إسرائيل من نبي الله موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً جسدًا، ثم مشهدُ طلبهم منه أن يُرِيَهم اللهَ جَهْرَةً – يبين أن الإيمان عند بني إسرائيل ينبني على ثلاثية مهمَّة، تقوم على علاقة جدليَّة، بحيث متى استُدْعِيَ عنصرٌ منها، إلا وأحال على العُنصرَيْن الآخرَيْن. يمكن بيان هذه الثلاثية في الآتي:

المُدْرَك بصريًّا	**المُجَسَّد**	**العَاجِل**
⇕	⇕	⇕
التَّناظُر	**يتَّخِذ شكلًا ماديًّا**	**المُتحقِّق حالًا غيرُ المَنْسِيّ**

معنى ذلك أنَّ كل شيء لا تتحقق فيه هذه الثلاثية فهو محلُّ شك، ولا يُشبِع الحاجة الهوويَّة لبني إسرائيل، والقاسم المشترك بين معطيات هذه الثلاثية هو مادة "ع. ج. ل"، فهذه المادة حمَّالة لمعنيين؛ التجلّي والظهور، ثم استباق الزمن، ومقتضى هذين المعنيين هو ما يتيح الإدراك البصري الذي يُعَدُّ أساسَ الإيمان الإدراكي لبني إسرائيل.

---

1 – نستعمل لفظة: "هَوَوِيَّة" هنا نسبة إلى الهوى، بوصف الهوى إخلادًا واستجابة نَزِقَةً لنوازع النفس.

2 – قولنا: "الشاخص قبالة الآن": هو تعبير مُرَكَّز عن شرط من شروط الإيمان الإدراكي لبني إسرائيل؛ وهو أن يظهر الإله الذي يؤمنون به جَلِيًّا مُجَسَّدًا شاخِصًا أَمَامَهم في الحال، أي الآنَ من دون تأجيل، فالمسلمون – مثلًا – يؤمنون بالله رغم أنهم لا يَرَوْنَه ولا يتجلَّى أمامهم، في حين أنَّ بني إسرائيل لا يؤمنون إلا بإله مرئي شاخص قُبالَتَهُم، أي ظاهرٍ مُتَجَلٍّ أمامهم الآنَ.

3 – سورة الأعراف: الآية 138.

4 – سورة النساء: الآية 153.

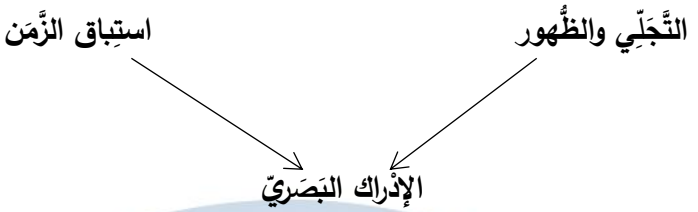

1. المحدود والمُطْلَق، أو المَرْئِيّ واللَّامَرْئي:

إذا ما تأمَّلْنا قول الله تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[5]، فسنلاحظ أن الله تعالى عَرَّف نفسَه بجملة مُصَدَّرَة بالنفي "ليس"، إذ إن التعريف بالنفي يقتضي الانفتاح على المطلق غيرِ المحدد، الموجود غير المدرك بالبصر، لكن يُعْرَف أنه موجود من خلال أسمائه وصفاته وقدرته، وتلك كلها آيات/ علامات دالة على وجوده. ففي مواضعَ عدَّةٍ من القرآن الكريم نَجِدُ جُمَلَ آياتٍ تتَصَدَّر بضمير "هُو" من قبيل:

- ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾[6].
- ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٩ ﴾[7].
- ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ ﴾[8].
- ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾[9].
- ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾[10].

إذا ما تأملنا هذه الآيات فهي تذكر بعض صفات الله تعالى وبعض أفعاله أو بعض أسمائه الحسنى، ومنه فهي لا تُعَرِّف الذات الإلهية، وإنما تقدم بعض الآيات الدالة عليها (صفة أو فعلًا أو اسمًا)، وذلك ما يجعلُنا نستنتج أنَّ الذات الإلهية رغم وجود هذه الصفات والأفعال والأسماء أنها عصية على التمثل أو الإدراك البصري، يزداد هذا الاستعصاء حضورًا حتى ونحن نقرأ آياتٍ تجعل لله يدًا ووجهًا من قبيل قوله عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

5 – سورة الشورى: الآية 11.
6 – سورة الأنعام: الآية 65.
7 – سورة الملك: الآية 29.
8 – سورة الملك: الآية 23.
9 – سورة الملك: الآية: 24.
10 – سورة الإخلاص: الآية 1.

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[11]. وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ ﴾ [12]. أو نقرأ آيات تنسب إلى الله صفات السمع والإبصار من قبيل قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤ ﴾[13].

يَحدُث عادةً أن تُصَدَّر جُمَل المعرفة بالضمير "هُو"، أو تُصدَّر بمبتدأٍ ملحَقٍ بخبر، وهذه الجمل تَفتَرِض عادةً أننا نُعرِّف الشيء الذي نتخذه موضوعًا للنَّظَر والمعرفة، كما تفترض أيضًا من خلال الضمير "هُو" أنَّ المُعَرَّف – موضوع المعرفة – تم تشخيصُه، بحيث يستطيع المُخاطَب أنْ يشكِّل له تصوُّرًا، ما في ذهنه حسب مضمون جملة المعرفة؛ ذلك أنَّ الضمير "هو" أو "الخبر"، يتيح تعريفًا بالإيجاب، والتعريف بالإيجاب لا يحيط بالمُعرَّف كاملًا، إنما يقدم إمكانًا لتعريفه من إمكانات شَتَّى تستعصي على الإحاطة، لذلك فالتعريف بالإيجاب تعريف جزئي، يفترض أن موضوعه تام متحيّز قُبَالةَ الذات التي تقدِّم له تعريفًا، وهذه الوضعية الفيزيائية القائمة على التناظر – حيث الموضوع المنظور قبالة الذات الناظرة – تشهد على حقيقة قصور التعريف بالإيجاب منذ البداية، فالنظر لا يسمح إلا بوجهة واحدة، حتى لو قَلَّبتِ الذات الناظرةُ الموضوعَ المنظور بين يديها من جميع الجهات، ذلك أنَّ رؤيته من الأمام مثلًا لا يمكن أن تتزامن ألبتَّةَ مع رؤيته من الخلف، وإذا افترضنا تعدُّدَ الذوات الناظرة في الموضوع المنظور على اختلاف وجهات نظرها، فالأمر في النهاية لن يؤول إلا إلى تعريف الشيءِ/ موضوعِ المعرفةِ نفسِهِ، بتقديم إمكانات مختلفة لذوات اختلفت وجهات نظرها، وكُلُّها لنْ تقدم إلا تعاريف بالإيجاب تُصَدِّرها بالضمير "هو" أو ما يقوم مقامه.

نستطيع أن نمثل لهذا الأمر بالترسيمة الآتية:

11 – سورة الفتح: الآية 10.

12 – سورة البقرة: الآية 115.

13 – سورة النساء: الآية 134.

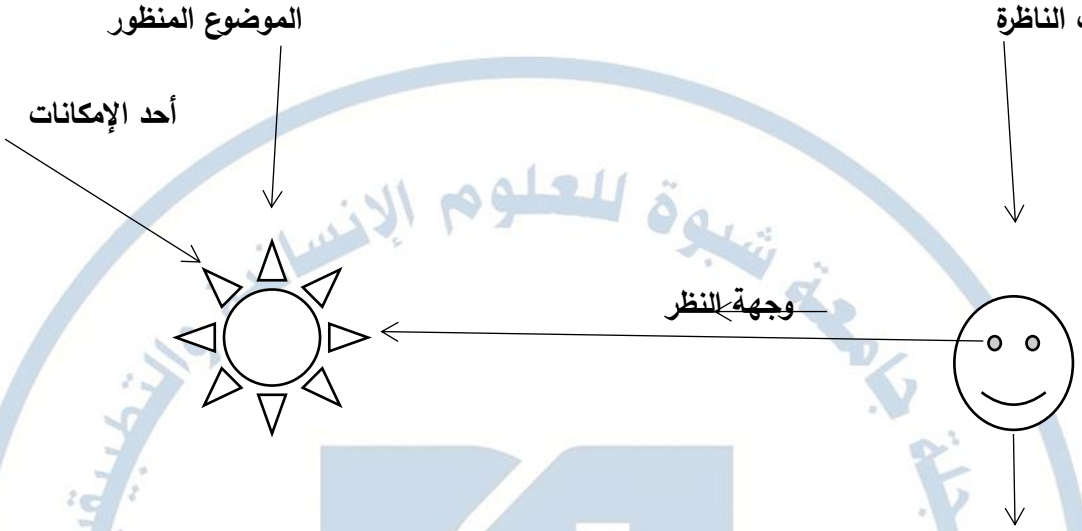

التعريف – بالإيجابِ – الذي تقدمه الذات الناظرة: الموضوع المنظور هو كذا (⊳).

إذا افترضنا أن هذه الذات نفسَها – أو ذاتا ناظرة أخرى – قابلت الموضوع من إحدى الجهات الأخرى، فإنها ستقدم تعريفًا بالإيجاب يتلاءم مع وجهة النظر التي نظرت وفقها إلى الموضوع المنظور، ومنه يمكن أن نجد تعاريف من قبيل: الموضوع المنظور هو كذا (∇)/ الموضوع المنظور هو كذا (⊲)...

لكن التعريف بالسَّلْب[14]، أو التعريف بالنفي، هو تعريف يقوم على إلغاء كل الإمكانات، ويقوم على إلغاء الوضعية الفيزيائية القائمة على التناظر، ومنه إلغاء وجهة/ وجهات النظر؛ لأنه يُعَرِّفُ اللامرئي، واللامرئي لا يتيح لنا إمكانية التناظر، حتى نبني على أرضية هذه الإمكانية تعريفًا بالإيجاب. وهذا ما يمكن تبينه في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[15]. ولذلك قدَّم الله عز وجل لذاته تعريفًا بالنفي في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[16]، وهو تعريف بالنفي لا يدع مجالًا لأي تعريف بالإيجاب يمكن أن يشكل تصوُّرًا ذِهنِيًّا للذات الإلهية لدى ذات ما.

لذلك فالتعريف بالسَّلْبِ/ النَّفي – لَيْسَ – يستبطنُ دَفْقًا لا محدودًا من التعاريف بالإيجاب[17]، لكنها تَرِدُ على سبيل العلامةِ/ الآيةِ المرئيَّةِ الدالَّةِ على اللامرئي، وذلك ما تثبته كل الآيات القرآنية التي تُعَرِّف الله من خلال فعل

14 – نستعمل "السَّلْب" هنا باعتباره مقابلا لـ "الإيجاب"، ومعنى السَّلْبِ هنا موازٍ لمعنى النفي في اللغة، ومنه فلا علاقة لمعناه بمفهوم "السَّلْب" باعتباره استراتيجية إغوائية.

15 – سورة الأنعام: الآية 103.

16 – سورة الشورى: الآية 11.

17 – يمكن أن نتبين ذلك من خلال الآيات الكريمة: في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾، وقوله عز وجل ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ

أو اسم أو صفة، وكُلُّها لا تتيح إمكانية إدراك الذات الإلهية مرئيَّةً، أو مجرد تشبيهها بمُدْرَك، أو حتى بناء تصوُّرٍ ذهنيّ فيزيائي ما للذات الإلهيَّة.

2. العِجْل والجَسَد:

يُسْفِر تتبُّعُنا لمادة (ع. ج. ل)[18] في الآيات الكريمة التي تمَّ رصدُها في القرآن الكريم عن كون هذه المادة اللغوية حمَّالةً لدلالة التَّجَلّي والظُّهور من جهة، ومن جهة أخرى فهي حمالة لدلالة الاستباق الزمني، لكن الدلالة الثانية قائمة على الدلالة الأولى؛ ذلك أن تَجلّيَ شيء ما وظُهوره، يعني حضورَه في المكان بحيث يتحيز ويتخذ شكلًا فيزيائيًا ما، وهذا الحضور في المكان هو حضور في الزمن بالضرورة، وما يثبت ذلك هو حركة الجسد في المكان، فحركتُه تعني بالضرورة حضورَه هنا وغيابَه هناك، وهذا ما يعني تمامًا أنَّ المكان والزمان متلازمان بشكل ما.. وذلك ما يجعلنا نقول إن الجسد كائن زماني؛ إذ إن حضور الجسد هنا وغيابه هناك هو ما يحقق مقولة "الأُفُول"، التي انبنى عليها النسق الاستدلالي[19]، الذي شيَّده نبي الله إبراهيم عليه السلام في إثبات وجود الله – إثبات وجود اللامرئي –؛ إذ ليس "الأُفُول" إلَّا تحقُّقًا لدلالات ثلاث، تحيل الأوليان منهما على الثالثة:

ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾، وكذا قوله عز من قائل ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، ثم قوله عز وجل ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾؛ فهي كلها تقدم تعاريف لله عز وجل، تعاريفَ بالإيجاب؛ أي أنها تُصَدِّرُ جُمَل المعرفة بالضمير "هو" أو ما يقوم مقامه، لكن رغم هذه التعاريف كلها، إلا أننا لا نستطيع إدراك الذات الإلهية، لكنها تقدم علامات على وجود الله عز وجل. بينما الآية الكريمة: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ تقدم تعريفًا بالسَّلْب/ النَّفْي من خلال الحرف "لَيْسَ"، وبذلك تقدم تعريفًا جامعًا مانعًا يجعل الذات الإلهية عَصِيَّة على الإدراك مهما اجتهدْنا في التماس العلامات الدالة عليها، المستلهمة من التعاريف التي تقدمها الآياتُ الكريمةُ المُصَدَّرَةُ بالضمير "هو".

18 – تم الاعتماد في المقاربة المعجمية لمادة (ع. ج. ل) "مبدأ الثنائية" الذي دعا إليه "الأب. ا. س. مرمرجي الدومنكي"، وهو أحد أساتذة المعهد الكتابي والآثاري في القدس الشريف؛ إذ يتجه إلى أن المعجمية العربية يشوبها اللامنطق في المعاني التي تحملها مفرداتها المعجمية بناء على مبدأ الثلاثية، أي الجذر اللغوي الثلاثي، لذلك فهو يقترح مبدأ الثنائية في التأصيل للمعجمية العربية، ويحاول إثبات جدواها من خلال نماذج عدَّة أوردها في كتابه يقارن فيها المعاني المتوصل إليها بين اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية، (ينظر: الأب. ا. س. مرمرجي الدومنكي، هل اللغة العربية منطقية؟ أبحاث ثنائية ألسنية، ص 4). ولذلك فقد تبين أن مادة (ع. ج) تحمل معنى الارتفاع، جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "(عَجَّ) الْعَيْنُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَيْءٍ، مِنْ صَوْتٍ أَوْ غُبَارٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. مِنْ ذَلِكَ الْعَجُّ: رَفْعُ الصَّوْتِ. يُقَالُ: عَجَّ الْقَوْمُ يَعِجُّونَ عَجًّا وَعَجِيجًا وَعَجُّوا بِالدُّعَاءِ، إِذَا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ". (ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4/ ص 27 . 28)، في حين أنَّ مادة (ج. ل) تحيل على العظمة والارتفاع والعلو، جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "(جَلَّ) الْجِيمُ وَاللَّامُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: جَلَّ الشَّيْءُ: عَظُمَ، وَجُلُّ الشَّيْءِ مُعْظَمُهُ. (...) وَالْجِلَّةُ: الْإِبِلُ الْمَسَانُّ". (ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1/ ص 417، بتصرف) وهذه المعاني كلها تضمر خصائص الجسد الدالة على التجلي والحضور في الزمان والمكان، وهي المعاني التي تصدق على العجل الجسد الذي أخرجه السامري.

19 – يتجلى هذا النسق الاستدلالي في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ

- ✓ دلالة التجلي والحضور في المكان.
- ✓ دلالة الاختفاء والغياب عن المكان.
- ✓ دلالة الزمان باعتباره حضورَ الجسدِ هنا، وغيابَه هناك.

وما دامت هذه الدلالات حاضرة بهذه القوة، فذلك يعني أنها لا تليق بالذات الإلهية، ولذلك فكون الذاتِ الإلهية غيرَ مرئيةٍ، ينزهها عن مقولةِ "الأُفُول" ومنه عن الدلالات المترتبة عنها.

ولعل الشاهد على ذلك هو تَعاقُب الليل والنهار، فتعاقبُهما يحصل بحركة جَسَدِ الشمس – باعتبار الجسد تجلّيًا في المكان – وبهذا التعاقب تتحقَّق دلالة الزمن، ويعلم الناس من خلاله عدد السنين والحساب. يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾[20].

نستطيع أن نتبيَّنَ هذا المعنى أكثر في مجيء موسى عليه السلام لميقات ربه؛ إذ سبق قومَه إلى ذلك الميقات، فسأله الله عن السبب الذي حملَه على العجلة عن قومه في قوله تعالى: ﴿ * وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ ﴾[21]؛ فدلالة الزمن لم تظهر إلا في حركة موسى عليه السلام – حركة الجسم[22] – وهو ذاهب إلى

فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّى بَرِىٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهۡتُ وَجۡهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩ ﴾ (الأنعام: 75 . 79).

20 – سورة يونس: الآية 5.

21 – سورة طه: الآية 83.

22 – نستعمل" الجسم" هنا، اهتداء بالفروق الدقيقة التي يضعها النص القرآني بين مقولات "الجسم" و"البدن" و"الجسد"، فكلها تحمل دلالة التجلي والاظهار، لكن "الجسم" ما اقترن بحياة للعاقل ولا يكون إلا لدى الإنسان الحي؛ يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۝٢٤٧ ﴾ (سورة البقرة: الآية 247) أما "البدن" فهو ما اقترن بروح لغير العاقل (بهيمةً/ أنعامًا...)؛ يقول تعالى: ﴿ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٣٦ ﴾ (سورة الحج: الآية 36، وما تجرد من الروح من بني الإنسان؛ يقول عز وجل: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢ ﴾ (سورة يونس: الآية 92). أما "الجسد" فهو ما لا روح فيه مطلقًا كالجماد؛ يقول عز من قائل: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ﴾ (سورة الأنبياء: الآية 8).

ميقات ربه، فحضوره في ميقات ربه استدعى غيابه عن قومه، ليكون هذا الغياب منفذًا يستغله السامري ليُضِل بني إسرائيل، ولعل في ذلك إشارةً إلى مَغَبَّة العجلة، وتحذيرًا مما يترتب عنها. ودليلاً أيضًا على ضعف من تَسْرِي عليه مقتضيات مقولة "الجسد"؛ إذ إن موسى عليه السلام لا يستطيع أن يذهبَ إلى ميقات ربه، ويكونَ في الوقت ذاته بين قومه يُقَوِّم إيمانهم، ويهديهم إلى سبيل الرشد، والله عز وجل حاضر في كل مكان وزمان، حضورًا يليق بجلاله لا يَعلمُ كَيْفَه إلا هو وحده.

فالعجَلَةُ – مع استحضار دلالتي التجلّي واستباق الزمن – هي التي حملت بني إسرائيل على طلب إلهٍ مرئيٍّ يعبدونه من دون الله غير المرئيّ، وفي ذلك طلبٌ للتجلّي، والتَّجسُّد، والحضور في الزمن، وكل ذلك تترتب عنه دلالة الأُفُول التي لا تليق بذات الله عز وجل، وهذا ما يفسر امتناع ذات الله عن التجلي والظهور بحيث تُدْرَك بصرًا[23].

3. العِجْل والذاكرة:

يَظْهَرُ السامريُّ في قصة بني إسرائيل والعجل شيطانًا من الإنس، استغل الحاجة الهوويَّة لبني إسرائيل في أن يَكُونَ لهم إلهٌ مرئيٌّ شاخصٌ قُبالةَ أبصارهم، ولذلك سَخَّر جُهدَه في العمل على استدراجهم رُوَيْدًا، فأخذ منهم حُلِيَّهم التي استعاروها من آل فرعون بعد أن صَوَّرها لهم ذنبًا ينبغي التخلُّصُ منه، فقذفوها في النار حتى ذابتْ، ثم ألقى السامريُّ ما حصل عليه من قبضة أثر الرسول ـ أثر فرس جبريل عليه السلام حسب أقوال المفسرين[24] ـ مِمَّا بَصُرَ به هوَ ولَمْ يبْصُرْ به بنو إسرائيل. فسوَّلَت له نفسُه صناعةَ العجل، مُستَغِلًّا الرغبةَ والحاجة الهوويَّة لبني إسرائيل في أن يكون لهم إلهٌ مرئي، فكان أمر إغوائهم بعبادة العجل أمرًا سهلًا. يَتخلَّلُ هذا المشهدَ في عُمقِهِ بنيةُ مطاوعة؛ ذلك أنَّ بني إسرائيل كانوا مُهَيَّئين مِنْ هَوَاهُم لعبادة العجل ـ وذلك رجوعًا إلى طلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهًا يعكفون له ـ فما كان من السامري إلَّا أنِ استغلَّ هذا الهوى في تطويعهم لعبادة العِجْل.

---

23 – لقد طلب موسى من الله أن يسمح له برؤيته عز وجل، غير أن الله حرم ذلك على موسى وعلى غيره من خلق الله جميعًا، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ (سورة الأعراف: الآية 143).

24 – ينظر تفسير يحيى بن سلام، حيث جاء فيه ما نصه: "وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى كَانَ وَاعَدَهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَعَدُّوا عِشْرِينَ يَوْمًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً فَقَالُوا: هَذِهِ أَرْبَعُونَ، قَدْ أَخْلَفَ مُوسَى الْوَعْدَ. وَكَانُوا اسْتَعَارُوا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ حُلِيًّا لَهُمْ، كَانَ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَعَارُوا مِنْ نِسَاءِ آلِ فِرْعَوْنَ لِيَوْمِ الزِّينَةِ، يَعْنِي يَوْمَ الْعِيدِ الَّذِي وَاعَدَهُمْ مُوسَى. وَكَانَ اللَّهُ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَسْرِيَ بِهِمْ لَيْلًا، فَكَرِهَ الْقَوْمُ أَنْ يَرُدُّوا الْعَوَارِيَ عَلَى آلِ فِرْعَوْنَ فَيَفْطُنُ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ، فَأُسْرُوا مِنَ اللَّيْلِ وَالْعَوَارِي مَعَهُمْ. فَقَالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ بَعْدَ مَا مَضَتْ عِشْرُونَ يَوْمًا وَعِشْرُونَ لَيْلَةً فِي غَيْبَةِ مُوسَى فِي تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ، وَقَالَ قَتَادَةُ بَعْدَ مَا مَضَى الثَّلَاثُونَ: إِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ بِهَذَا الْحُلِيِّ فَهَاتُوهُ. وَأَلْقَى مَا مَعَهُ مِنَ الْحُلِيِّ، وَأَلْقَى الْقَوْمُ مَا مَعَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ: {فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} [طه: 87] مَا مَعَهُ كَمَا أَلْقَيْنَا مَا مَعَنَا. فَصَاغَهُ عِجْلًا، ثُمَّ أَلْقَى فِي فِيهِ التُّرَابَ الَّذِي كَانَ أَخَذَهُ مِنْ تَحْتِ حَافِرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ". (ينظر: يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام التيمي البصري القيرواني، تحقيق هند شلبي، ج1/ ص 272). ينظر كذلك: (مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، ج3، ص 37 – 38).

يظهر في هذا المشهد علاقة بين ثلاثية مهمة: الهَوَى/ الذَّاكِرة/ العِجْل؛ ذلك أن العجل يستبطن كما أسلفْنا دلالة التجلّي والظهور من جهة، ثم دلالة استباق الزمن من جهة أخرى. كما أن الذاكرة بوصفها جِماعَ ما يَسْتدخِلُه الذِّهنُ ويحتفظ به كَصُوَرٍ مجرَّدة، إضافة إلى الهوى بوصفهِ إخلادًا واستجابةً نَزِقَةً لنوازع الذات، كل هذه المعطيات تُبَيِّن أن تضليل السامري لبني إسرائيل إنَّما كان متساوقًا مع كونهم أصحابَ هَوًى، ولذلك كان من الملائم له أن يَعْمَد إلى سَلْبهم مِنْ طريق الهُدى والرُّشد إلى طريق الضَّلال والغَيّ، من خلال احتلال ذاكرتهم عبر صناعة العِجْل.

من الثابت أن الذاكرة تحتفظ بالصور والمُجسَّدات أكثر من أيّ شيءٍ آخر، وقد لا يستطيع الإنسان شيئًا حِيَالَها لإفراغ ذاكرته منها، خاصة عندما تتجاوز حدودُ كونِها مجرَّدَ صُورَةٍ أو مُجسَّدٍ إلى رمز مُحمَّلٍ بكثير من الدلالات، فالعِجلُ في بادئ الأمر لمْ يكنْ إلا عِجْلًا جَسَدًا وحَسْب، غير أنَّ بِنْيَةَ المطاوعة الحاصلة في بني إسرائيل، سَرعَانَ ما جعلتْهم يُحَمِّلونه دلالةً رمزيَّةً عندما قالوا: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾، يظهر ذلك جليًّا في الآية الكريمة: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨﴾[25]. فلمَّا استقرَّ العِجْل الجَسَدُ في الذاكرة، ثم اقترن بدلالة رمزية، أصبح يحتل الذاكرة احتلالًا، أي إنَّه أصبح اسمًا راسبًا في الذاكرة، تمامًا كغيره من الأسماء التي سمَّاها كُلُّ المشركين والكفار عبر التاريخ، ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾[26]، وسرعانَ ما سيتجاوز العجل حدود احتلال الذاكرة؛ ليتمكن من شغاف القلب، فيستحيلَ عقيدةً؛ وذلك ما تثبته الآية الكريمة: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٩٣﴾[27].

4. الإيمانُ والنِّسْيَان:

تُسْفِر المادة اللغوية (ن. س. ي) في المعاجم اللغوية عن دلالتين: دلالةِ التخفّي، ودلالةِ التأخير، وهاتان الدلالتان إنَّما تتأسَّسان على إلغاء فكرة التناظر، بحيث تجعلُ الذاتُ الناظرةُ منظورَها – المفترض إدراكُه بصرًا – وراء ظهرها، ومنه عدم إدراكه بصرًا، وعن هذه الوضعية الفيزيائية الظِّهْرِيَّة[28]، تترتب دلالات التأخير والتَّخَفّي والتَّرْك

25 – سورة طه: الآية 88.

26 – سورة النجم: الآيات 19 . 23.

27 – سورة البقرة: 93.

28 – استلهم البحث تسمية هذه الوضعية الفيزيائية بـ "الظِّهْرية" من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾ (سورة هود: الآية 92)؛ لأن "ظِهْرِيًّا" تفيد جعل أمر ما وراء الظهر، بحيث يؤخر فينسى، وذلك منسجم تمامًا مع دلالات النسيان في المعجم، وفي القرآن الكريم.

والغِياب والعُزُوب...؛ يمكن أن نتبيَّن ذلك في الآية الكريمة، حيث يقول عز من قائل: ﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ ﴾[29]. فالنسيان في الآية الكريمة يحمل دلالة الظِّهْرِيَّة، ومنه عدم إدراك هيئة الشيء بصريًّا، أو غياب صورة هيئة الشيء عن الذاكرة بعد إدراكه؛ ذلك أنَّ الفعل "نَسِيَ" في الآية الكريمة مُسْنَدٌ إلى نبيّ الله موسى عليه السلام، وهو الذي قد توجَّه إلى ميقات ربّه، فجِسْمُ موسى عليه السلام اتخذ في ذلك وضعيَّةً فيزيائيَّةً؛ كان فيها مُقْبِلًا إلى ميقات الله، جاعلًا العِجْلَ وراءَ ظَهْرِه؛ أي إنَّه نَسِيَه.

وبما أنَّ الشيء الذي لا نُدرِكُهُ بصرًا، لا يُتِيحُ للذاكرة الاحتفاظ بصورةٍ مجرَّدةٍ لهيئته، فهو –بناء على ذلك – لن يَحْتَلَّ الذاكرة، ولن تُتاحَ فرصةُ تحميله دلالاتٍ رمزيةً تستقِرُّ في شِغاف القلب فيستحيل عقيدةً، ومن ثَمَّ فإنه سيلغي ـ بناءً على ما تَقدَّم ـ كُلَّ دلالات التجَسُّد والتحَيُّز في الزمان والمكان، ومنه مقولة الأُفُول، وكل ذلك يقود إلى تنزيهه عن معاني التناهي في الزمان والمكان، هذه المعاني اللصيقة بكل الكائنات الزمانية.

هكذا إذن يقوم الإيمان التصديقي على لا مرئية الذات الإلهية، ما معناه أن لا فرصة للاحتفاظ بصورة لها في الذاكرة ـ تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا ـ وذلك ما يُبْرِزُ المعانيَ المُسْتَبْطَنةَ في حرف النفي "لَيْسَ"، حيث يقول تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾[30]، وكذلك في منطق الشهادة المُصَدَّرة بـ"لا" النافية: "لا إله إلا الله"، ولذلك امتنعت ذات الله على أن تدركها الأبصار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾[31].

اللَّيْسُ[32] والنِّسْيَان:

ورد في مقاييس اللغة أن المادة اللغوية (أ. ي. س) تشير إلى معاني "الحَيْثُ" والوُجْدِ والجِدَة والكَيْنُونة والاسْتِقْلال، وأن "لَيْس" معناها لا أَيْسَ، أي لا وُجْد[33]، وهذه المعاني السابقة كُلُّها تتحقَّق في الموجودات؛ إذ تتحيَّزُ في المكان

---

29 – سورة طه: الآية 88.

30 – سورة الشورى: الآية 11.

31 – سورة الأنعام: الآية 103.

32 – تجدر الإشارة إلى أن هذه المقولة استعملها عبد العزيز العيادي في ترجمته لكتاب "المرئي واللامرئي" لصاحبه موريس مرلو– بونتي، غير أننا نستعملها هنا رجوعا إلى مقتضيات دلالاتها المعجمية، ونحاول ربطها بموضوع البحث، بما يُسهم في كشف المفارقات التي تنوي في تضاعيف قصة بني إسرائيل والعجل، وكذا كشف نسق الإغواء لدى السامري، في سلب بني إسرائيل عن طريق العجل الجسد. (ينظر: موريس مرلو– بونتي، المرئي واللامرئي، ص 158).

33 – جاء في مقاييس اللغة لابن فارس، ما نَصُّه: "قَالَ الْخَلِيلُ: أَيْسَ كَلِمَةٌ قَدْ أُمِيتَتْ، غَيْرَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: "انْتِ بِهِ مِنْ حَيْثُ أَيْسَ وَلَيْسَ "لَمْ يُسْتَعْمَلْ أَيْسَ إِلَّا فِي هَذِهِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهَا كَمَعْنَى [حَيْثُ] هُوَ فِي حَالِ الْكَيْنُونَةِ وَالْوُجْدِ وَالْجِدَةِ. وَقَالَ: إِنَّ "لَيْسَ" مَعْنَاهَا لَا أَيْسَ، أَيْ: لَا وُجْدَ. وَالْكَلِمَةُ الْأُخْرَى قَوْلُ الْخَلِيلِ إِنَّ التَّأْيِيسَ الِاسْتِقْلَالُ; يُقَالُ: مَا أَيَّسْنَا فُلَانًا، أَيْ: مَا اسْتَقْلَلْنَا مِنْهُ خَيْرًا. وَكَلِمَةٌ أُخْرَى فِي قَوْلِ الْمُتَلَمِّسِ: تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَا يَتَأَيَّسُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ شَيْءٌ. وَأَنْشَدَ: إِنْ كُنْتَ جُلْمُودَ صَخْرٍ لَا يُؤَيِّسُهُ؛ أَيْ: لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ". (ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 1/ 164).

والزمان، وعن هذا التحيُّز تتولَّدُ دلالات الحيثُ والوجد والجدة والكينونة والاستقلال، وكل ذلك يقود إلى أنه يمكن إدراكها بصرًا، ما يعني أنه تسري عليها مقولة النَّظَرِية[34].

في حين أنَّ مادة "ن. س. ي" كما تقدم تفيد دلالتي التَّخَفِّي والتأخيرِ، المتأسستين على إلغاء التناظر عبر الظِّهْرِية، ذلك أن كل ما كان وراء ظهر الذات الناظرة ينتفي إدراكه بصرًا، وبذلك يصبح في حكم المتخفي اللامرئي، هكذا ينسجم "النِّسْيانُ" و"اللَّيْسُ"، بِعَدِّ الأول اتخاذَ الشيء ظِهْرِيًّا بحيث لا يُدرَك بصرًا، وبِعَدِّ الثاني نفيًا لأي شبيهٍ بالذات الإلهية، أو حتَّى مجرَّد تَصَوُّرٍ متخيِّل لها على الإطلاق، لأنَّ التجسُّد لا يليق بذات الله عز وجل، ما دام يحمل دلالات التحيُّز في الزمان والمكان، والمحدودية فيهما، وما دام يستبطن مقولة "الأُفُول" التي شَيَّدَ بها نبي الله إبراهيم عليه السلام نسقه الاستدلالي في إثبات وجود الله اللامرئي. على أن النِّسْيَان يقترن بالظِّهرية عن ذات الله تعالى، لا عن أوامره ونواهيه وآياته.

5. الجَسَد واستراتيجية السَّلْب:

إذا كان الشيطان كينونة مستقلة متعالية تنتظم داخل نسق خاص ومعقد، يتداخل فيه مجموع الأفعال "الشيطانية"، وهذه الكينونة يمكن أن تحقق وجودها الفعلي في الجن أو الإنس. مثلما حققت وجودًا لها في "إبليس"/ الجنِّ، فإنها قد حقَّقتْ وُجُودًا لها في "السامري"/ الإنسِ في قصته مع بني إسرائيل، معتمِدًا في ذلك استراتيجية السلب[35]، بوصف هذا الأخير سَحْبًا من سلك سبيل الهدى والرُّشد أو صَدًّا عنه، بطرائق استهوائية، تقوم في مجملها على تقبيح كل أعمال الخير والصلاح.

34 – يستعمل البحث مقولة "النَّظَرِية" ضدا لمقولة "الظِّهْرِية"، نظرا للدلالات التي تترتب عن كل منهما، فـ"النظرية" مشتقة من الفعل "نَظَرَ" الذي يشير إلى التقابل؛ بحيث يكون الشيء المنظور قُبَالَةَ الذات الناظرة، فيتحقق بذلك الإدراك البصري، وذلك ما تثبته الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ (سورة الأعراف: الآية 143). في حين أن "الظهرية" مشتقة من الفعل "ظَهَر"، الذي اشتق منه "الظَّهْر" باعتباره خلاف "البطن"، فترتب عن ذلك "الظِّهْرِيُّ: كُلُّ شَيْءٍ تَجْعَلُهُ بِظَهْرٍ، أَيْ تَنْسَاهُ" (ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 3/ 471). وعلى ذلك يترتب أن ما تجعله بظَهر فهو ليس قبالتك لتدركه بصرًا.

35 – يُعَدُّ "السَّبْلُ" نقيضَ "السَّلْب": هو دفع إلى سلك سبيل الضَّلال والغي، بطرائق احتيالية تقوم في مجملها على تزيين المعاصي وانتهاك حدود الله واستحلال المحرم.

وإذا كانت الذاكرة اسمًا[36]، بوصف الاسم ما تحيَّز في الزمان والمكان، فإنها تَتَأَيَّسُ[37] دائمًا وفق ما يترسب فيها، ولذلك فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجسد، باوصفه حضورًا في الزمان والمكان، واحتفاظ الذاكرة بصورة مجرَّدة لهيئته، يفسر هذه العلاقة بين الذاكرة وتوجيه السلوك البشري، من خلال احتلال الذاكرة؛ هذا الاحتلال الذي يمتد إلى شغاف القلب بعدما يُحَمَّلُ هذا الجسد دلالات رمزية تُحِيلُهُ عقيدةً، فلَمَّا كان المَنْفَذ إلى احتلال الذاكرة هو البصر، فإن التجسيد وبَعْدَه التَّسْمِية، هما هاتان المادتان اللتان تُهَيِّؤُهما الذاتُ الشيطانُ، لإغواء الناس وتوجيه سلوكهم.

فعندما صنع السامري العِجْلَ، لم يكن إلا عجلًا جسدًا وحسب، وهو هنا موجه لاحتلال الذاكرة فقط؛ ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾[38]. لتأتي مرحلة التَّسْمِيَة بعد ذلك فتمنحه الدلالات الرمزية؛ ﴿ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ ﴾[39]، وهي هنا موجهة للتَّمَكُّن من شغاف القلب ليستحيل العجلُ عقيدةً؛ ﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[40]. كذا إذن يكون السامري قد اعتمد استراتيجية السلب لسحب بني إسرائيل من سبيل الهدى والرُّشد إلى سبيل الضَّلال والغي؛ وذلك عبر احتلال الذاكرة من خلال العجل الجسد، الشيء الذي يثبت أن احتلال الجسدِ المُحَمَّل بدلالات رمزية – أي

---

36 – في معرض تبشيره مريمَ قال الله عز وجل: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (آل عمران: 45)؛ لقد بشر الله مريم بـ "كلمة" وهي لم تُنجز بعدُ؛ أيْ "كلمةٍ"، لكنّه قال عن المُبَشَّر به: "اسمه..."؛ أي إنَّ هذه الكلمة ستغدو "اسمًا" عند إنجازها؛ ما معناه أنَّ "الكلمة" هي ما لم يُنجَز بعدُ، وأنَّ "الاِسم" هو ما تمَّ إنجازُه، أمَّا "الفعل" فهو ما بمقتضاه تتحول "كلمة" إلى "اسم"؛ أي إنه إنجاز، أو هو بسط الكلمة ـ الشيء ـ ملءَ ماهيتها، ما معناه أن الاسم: ما تحيَّز في الزمان والمكان. يستثنى من هذا المفهوم ذات الله تعالى، رغم الآية الكريمة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (الأعراف: 180)، فذات الله تعالى لا يسري عليها أفق فهمنا للأشياء من حولنا، فقد نزَّه الله نفسه عن ذلك تنزيهًا، في آية كريمة جامعة مانعة: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى: 11).

37 – تجدر الإشارة إلى أن هذا الفعل اعتمده عبد العزيز العيادي في ترجمته لكتاب المرئي و اللامرئي لصاحبه مرلو– بونتي، غير أننا نستعمله هنا اهتداء بدلالته في المعجم – "تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَا يَتَأَيَّسُ لَا يُؤَبِّرُ فِيهِ شَيْءٌ." (ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 1/ 164). – إذ إنَّ معنى يتأيس أي يتأثر، وما يتأثر فهو يتغير ويعاد تشكله بفعل ذلك التأثر، فإن أضفنا إلى ذلك كله دلالات مادة (أ. ي. س) من قبيل الوجدِ والحيثُ والكينونة، ازداد حضور معنى تشكيل الذاكرة وبناء الفضاء الذهني كما لو أنه ينحت نحتا. (ينظر: موريس مرلو– بونتي، المرئي واللامرئي، ص 273).

38 – سورة طه: الآية 88.

39 – الآية نفسها من سورة طه: الآية 88.

40 – سورة البقرة: الآية 93.

الجسدِ الاسمِ[41] – للذاكرة يترتب عنه استلابُ صاحب الذاكرة، واستِهْوَاؤُه بحيث يتمكَّن الجسدُ الاسمُ من قلبه، ليستبد بجوارحه، فَتَرْتَهِن به سلوكاته؛ وهذا ما يفسر العِصْيَان الذي أعلنه بنو إسرائيل عندما أمرهم الله أن يأخذوا ما آتاهم بقُوَّة، وذلك ما يَظهرُ بَيِّناً في الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[42].

ولعل هذه الصلة الوثيقة بين الذاكرة والبصر والجسد هي ما يفسر كون كل الوثنيات قائمة على فكرة التجسيد، ثم التسمية، حتى إنَّ اللَّازِمةَ[43] التي تنسحب على كل الوثنيَّات عبر التاريخ، هي اعتدادُهم بما يخلفه الآباء وتمجيدُه من دون إخضاعه للنقد أو التمحيص، ولذلك كان قولهم متى أُرْسِلَتْ إليهم رُسُلُ الله: هذا ما وَجَدْنا/ أَلْفَيْنا عليه آباءَنا[44]، فكان هذا الإخلاص للذاكرة يتساوق مع وضعيَّةٍ فيزيائيَّةٍ للذات المُستَلَبةِ قائمةً على العكوف قُبالةَ الجسدِ الاسمِ، ما معناه أنَّ أي محاولة من رسل الله لهدايتهم عن غَيِّهِم، كانوا يُسَمُّونَها لَفْتًا[45]، أي تغييرًا لوضعية العُكُوف قُبَالَة الجَسَدِ الاسْمِ بحيث تُصْرَف عنه الأبصار، ومن ثم تُصْرَف عنه القلوب، وذلك ما تبيّنه الآية الكريمة في سياق محاولة موسى عليه السلام نَهْيَ آل فرعون عن معبوداتهم الوثنية: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[46].

---

41 – نقصد بـ "الجَسَدِ الاسْمِ" هنا، ذلك الجَسَدَ المُحَمَّلَ بدلالات رمزية، فالعِجْلُ بَدْءً كان مجردَ تمثال مُجَسَّد لا أقل ولا أكثر، لكن بعد أن جُعِلَ إلهاً صار جَسَدًا اسْمًا؛ لأنه دَخَلَ مرحلة القَصْدِ في الفعل، أي القصد في صناعته، وهي جَعلُه رمزًا مُجَسِّدًا للأهواء التي يعبدها بنو إسرائيل ويتخذونها إلهًا من دون الله مُجسَّدًا في العِجْل، يقول تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الجاثية: الآية 23.

42 – الآية نفسها من سورة البقرة: الآية 93.

43 – نقصد بـ "اللَّازِمَة" هنا، تلك الخاصية المشتركة التي نجدها حاضرة في كل الوثنيات عبر التاريخ وهي الاعتداد بما يخلفه الآباء، وإنما اخترنا هذه اللفظة، تعبيرًا عن اللزوم والحتمية في حضور فكرة الاعتداد بما يخلفه الآباء لدى كل أنساق الوثنيات عبر التاريخ، وهي تعبير عن الانسياق التام والذَّوَبَان في روح الماضي بوصفه جماعَ معطياتٍ معنويَّةٍ قائمةٍ على الهوى، تمتدُّ إلى السلوك، يتم تجسيدها في وَثَنٍ معبود.

44 – ذلك ما تثبته الآية الكريمة: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (البقرة: 170). وغيرها من الآيات في القرآن الكريم.

45 – جاء في مقاييس اللغة لابن فارس في مادة (ل. ف. ت): "(لَفَتَ) اللَّامُ وَالْفَاءُ وَالتَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى اللَّيِّ وَصَرْفِ الشَّيْءِ عَنْ جِهَتِهِ الْمُسْتَقِيمَةِ. مِنْهُ لَفَتُّ الشَّيْءَ: لَوَيْتُهُ. وَلَفَتُّ فُلَانًا عَنْ رَأْيِهِ: صَرَفْتُهُ. وَالْأَلْفَتُ: الرَّجُلُ الْأَعْسَرُ. وَهُوَ قِيَاسُ الْبَابِ. وَاللَّفِيتَةُ: الْغَلِيظَةُ مِنَ الْعَصَائِدِ، لِأَنَّهَا تُلْفَتُ، أَيْ تُلْوَى. وَامْرَأَةٌ لَفُوتٌ: لَهَا زَوْجٌ وَلَهَا وَلَدٌ مِنْ غَيْرِهِ فَهِيَ تَلْفِتُ إِلَى وَلَدِهَا. وَمِنْهُ الِالْتِفَاتُ، وَهُوَ أَنْ تَعْدِلَ بِوَجْهِكَ، وَكَذَا التَّلَفُّتُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَلَفَتُّ اللِّحَاءَ مِنَ الشَّجَرَةِ: قَشَرْتُهُ". (مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 5/ ص 258).

46 – سورة يونس: الآية 78.

وإذا ما تأملنا واقع حياتنا اليومية، لاحظْنا أنَّ كثيرًا من أشكال الانتماءات يتمُّ بناؤها على فكرة التجسيد؛ لاحتلال الذاكرة، ثم التَّسْمِية؛ للتمكُّن من شغاف القلب، لتمتد بعد ذلك إلى الجوارحِ ظاهرةً في السلوك؛ نستطيع أن نلحظ ذلك مثلًا في الأَعلام الرمزيَّة للفِرَقِ الرياضيَّة، أو شعارات الأحزاب السياسية، أو الأَعلام الوطنية للبلدان، أو أعلام الانتماءات العِرقيَّة. كما يمكن أن نكتشف الخبثَ الكامنَ في استراتيجية السَّلْب عبر الجَسَد من خلال هذا الدفق الهائل من الصور والأشرطة التي تستهدف القيم المعيارية الرفيعة للبلدان الإسلامية من خلال وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، حتَّى صارتْ هذه البلدان اليوم تعيش انفلاتًا قيميًّا حقيقيًّا يزداد تفاقُمًا يومًا بعد يوم، فضلًا عن ثقافة الاستهلاك التي أصبحتْ سمةَ هذا العصر، بحيث تخدم مصالح الرأسمالية، فتغدو جماهير هؤلاء المستهلكين مجرَّدَ أرقامٍ في سُوقٍ استهلاكيَّةٍ لصالح الرأسماليَّة، وضِدًّا على القيم المعياريَّة الرفيعة، وفي ذلك أبشَعُ تَجَلِّيَاتِ الاستلاب، بحيثُ يُجَرَّدُ الإنسان من كُلِّ القيم المعيارية ليغدو أسيرًا للمادِّيَّات والنَّزواتِ بشكلٍ نَزِقٍ رُبَّما يجعله كالأنعام، بلْ أضل. فبالأمس القريب لم تكنْ ألوانُ قوسِ قزح إلا ألوانًا زاهيةً تُمتّعُ عينَ كُلِّ ناظر، وتسحره بجمال الطبيعة وإحسان الله في خلقه، لكنَّها اليوم أصبحت علامة على البهيميَّة النَّزِقة تهتك إنسانية الإنسان، وتهوِي به إلى دركات الانحلال الأخلاقي الفجّ، لدرجةٍ أصبح لها مَنْ يروّج لها ويدافع عنها. وقد أشار برنار نويل[47] إلى هذه المعضلة الفتاكة؛ ذاهبًا إلى أن الأنظمة السياسية تفعلُ فِعلَها في توجيه الذاكرة، وتنظيم الفضاء الذهني للجماهير وفق ما يخدم مصالحها؛ وذلك عبر وسائل الإعلام، بحيث يتمُّ غسلُ أدمغة الجماهير بُغيَةَ إخضاعها، من خلال دَفقٍ هائلٍ من الصور عصيَّةً على النِّسيان، خاصَّةً أنها مُحمَّلة بشحنات هائلة من الدلالات الرمزيَّة، التي تُجرِّدُ الإنسان من كل القيم المعيارية الرفيعة؛ لِتُحِيلَهُ آلةً استهلاكيَّةً أسيرةً للنزوات والغرائز وسُلطَةَ المادِّيَّات.

خاتمة:

حاول البحث إضاءة مقولة "الجَسَد" في قصة بني إسرائيل مع عجل السامري، وفق مقاربة وظيفية ذات مدخل معجمي، ليكشف نسق الإغواء الذي مارسه السامري الشيطان على بني إسرائيل معتمدًا استراتيجية السلب، كما كشف البحث مختلف الصلات التي تربط مقولة "الجسد" مع مقولات "الذاكرة" و"النسيان" و"الأفول"، إضافة إلى ما تستضمره الوضعيَّاتُ الفيزيائيَّةُ للجسم لدى الذات المُدْرِكة سواء بوضعية "النَّظَرِية"، أو وضعية "الظِّهْرِية"، بحيث تحيل الأولى على احتلال الذاكرة، في حين تحيل الأخرى على النسيان، وفي ذلك ما يثبت التمييز بين الإيمان الإدراكي لبني إسرائيل – الذي لا يقوم إلا على فكرة التجسيد وما تستتبعها من مقتضيات لا تليق بذات الله عز وجل – والإيمان التصديقي للمسلمين؛ الذي يقوم على مقتضيات مقولة "اللَّيْس"، التي تنسجم تمامًا مع مقولة "النِّسْيَان"؛

47 – يقول برنار نويل: "تنظم الذاكرة الفضاء الذهني بطريقة تسمح له أن يرتب كما يريد العناصر التي يحتفظ بها. وقد كانت الأنظمة السياسية تتدخل في هذا التنظيم حتى توجهه وفق مصالحها. ومن أجل أن تفعل هذا، كانت تدعو في غالب الأحيان إلى التفكير من خلال استعمال الدين. ومنذ اختراع وسائل الإعلام وتعميم استعمالها، لم يعد الأمر يتعلق على الإطلاق بتوجيه الفضاء الذهني بل باحتلاله، وفي الحقيقة بإفراغه من كل مضمون آخر عدا الفرجات التي تعرض فيه. لا شيء كان قط بمثل هذه الفعالية لإخضاع الرؤوس من هذا الغسل للدماغ الذي يعوض الفكرة والخيال بدفق من الصور لا يستطيع النسيان شيئا حياله". (ينظر: برنار نويل، كتاب النسيان، ترجمة محمد بنيس، ص 82).

إذ إن مقتضياتهما تتساوقان معًا؛ بحيث إن ما لا يُرَى يقع في حكم المَنْسِي غيرِ المُدْرَك بَصَرا، وغيرُ المُدْرَك بَصَرًا يحيل على ما لا تسري عليه مقتضيات الجَسَد من قبيل التجلي والظهور والتحيز في الزمان والمكان، والأُفُول أيضًا.

ولَمَّا ارتبطت مقتضيات مقولة "الجسد" بعجل السامري، صار العِجْلُ مادَّةً للإغواء من خلال استراتيجية السَّلْب، عبر احتلال الذاكرة، العجلُ الذي سيتجاوز حدود كونه عجلًا وحسب، ليصبح من خلال فعل "التَّسْمِية" إلهًا يعبد من دون الله ليستقر عقيدة في قلوب بني إسرائيل، يسري في جوارحهم ويؤثر في سلوكهم، ليُعْرِضوا عن أوامر الله فيَعْصُوها بعد أن تَلَقَّوْها.

تَبَيَّن أيضًا من خلال عرض نتائج البحث على الوثنيات التي تواترت في القرآن الكريم، وجودُ انسجامٍ بين النَّسَق الذي ينتظم هذه الوثنيات ونَسَقِ العِجْلِ الجَسَدِ. كما يظهر من خلال عرضها أيضًا على واقع الحياة اليومية الراهنة سريانُ النسقِ نفسِه في كل استعمالات مقولة "الجسد"، خاصَّةً عندما يتعلق الأمر بتشكيل الانتماءات، أو الترويج لأنساقٍ فكريَّةٍ، تختلف توجُّهاتُها حسب مصالح الجهات المروِّجة لها، على أن هذه الجهات تختار هي الأخرى التَّخَفِّي تمامًا مثلما تفعل شياطين الجن التي ترى الناس الذين تستهدف إغواءَهم من حيثُ لا يَرَوْنَها.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- الأب. ا. س. مرمرجي الدومنكي، هل اللغة العربية منطقية؟ أبحاث ثنائية ألسنية، د.ط، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، لبنان، 1947م.
- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، د.ط، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دون ذكر البلد، 1399هـ – 1979م.
- برنار نويل، كتاب النسيان، ط1، ترجمة محمد بنيس، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2013.
- مارتن هيدغر: الكينونة والزمان، ط1، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، أيلول – سبتمبر 2012م.
- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج3، ط1، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1423هـ– 2002م.
- موريس مرلو – بونتي، المرئي واللامرئي، ط1، ترجمة عبد العزيز العيادي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، تموز – يوليو 2008م.
- يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام التيمي البصري القيرواني، ج1، ط1، تح هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م – 1425هـ.

The Body and the Strategy of Appropriation: The Calf of the Samaritan as a Model: A Lexical and Functional Approach

Abderrahman Hilali
PhD Researcher
Faculty of Arts and Humanities
Université Sultan Moulay Slimane, Morrocco

Abstract
This study explores the pattern of seduction attributed to Satan, understood as a transcendent and autonomous entity that operates within a distinct and complex system in which various "satanic" actions intersect. This entity may actualize its presence either through jinn or humans - as exemplified in the cases of Iblis (from among the jinn) and al-Samiri (from among humans). Given that humans themselves can engage in seduction, the research investigates the notion of the "body" within the context of al-Samiri's seduction of the Israelites through the "bodily calf." Through this figure, al-Samiri employed an appropriation strategy-understood here as a withdrawal from, or obstruction of, the path of guidance-through captivating techniques that function primarily by distorting or maligning acts of goodness and righteousness.
The research further engages the dual concepts of "memory" and "forgetfulness" as central to the regulation of human behavior. It seeks to examine possible connections between these concepts on the one hand, and the concept of "body" on the other, especially considering signs found in Surah al-A'raf and other Qur'anic verses referencing the calf, along with verses alluding implicitly to the idea of embodiment.
Methodologically, the study adopts a functional approach grounded in lexical analysis, examining the Qur'anic semantics of "calf" and "body" to trace their implications and functional impact. It ultimately poses the following question: How did al-Samiri employ the strategy of appropriation to seduce the Israelites through the "bodily calf?
The study concludes that the body is a seductive medium accessed through visual perception, aiming to occupy memory - as the image of the body resists oblivion- by furnishing the target's mental space. This is achieved through encoding the body with symbolic meanings via naming, ultimately capturing the target's heart until the body-name becomes a belief embodied in behavior.

Paper Information
Date received: 14/06/2025
Date accepted: 29/06/2025
Date issued: 03/01/2026

Keywords
body, strategy of appropriation, Satan, memory, forgetfulness

©2025 SHABWAH UNIVERSITY JOURNAL